الفتوحات الربانية

في تفضيل الطريقة الشاذلية



الجزء الأول

الفتوحات الربانية

في تفضيل الطريقة الشاذلية

تأليف أستاذنا
وولي نعمتنا العارف الرباني والهيكل
الصمداني شيخ الشيوخ وإمام أهل التمكين
والرسوخ سيدنا محمد بن محمد بن مسعود بن
عبد الرحمن ابن عقبة المدغري المهاجي
قبيلة الفاسي الشاذلي طريقة
المدني خرقة وإرادة
كان الله له
آمين

الجزء الأول

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

❊السلام عليكم ورحمة الله وبركاته❊

إخواني في الله وأحبابي في سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ❊ عندما وجدت هذا الكتاب في النت فرحت جدا ❊ وعندما قرأته فرحت أكثر وأكثر ❊ لأنني حسّيت أن سيدنا الشيخ أبو بكر الصديق عبد الناصر رضي الله عنه وأرضاه كأنه هو سيدي

الشيخ محمد بن مسعود الفاسي رضي الله عنه وأرضاه ❊

فأحببت أن أبيضه ❊ ويكون بخط كبير وعلى أجزاء ❊ ليسهل مطالعته ودراسته وقراءته وفهمه ❊ أرجو أن يكون هذا العمل الصغير البسيط مقبولا عند سيدنا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه ❊ وشكرا جزيلا لكم ساداتي وسيداتي ❊

❋أعوذ بالله من الشيطان الرجيم❋

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ❋ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الجمع والتمكين وعترته السالكين على نهجه القويم وصراطه المستقيم ❋ قال الإمام العالم العامل ❋ والشيخ الحجة الكامل ❋ من أجمع على جلالة قدره الشامل ❋ البحر المنير الزاهر ❋ السابق لنيل

غوالي الدرر * والكارع من بحر الشريعة
الأغر * فاستيقظ لها والناس نيام *
وورد ماءها وهم صيام * فتحلت به للعلوم
نحور * وتجلت له منها عرائس الحور *
زاده الله بكرمه نورا على نور * وجعله
صفوة لعبيده إلى ممر الدهور * شيخنا
وقدوتنا إلى الله تعالى * الولي الراسخ المحقق
* والجهبذ المدقق * صاحب الكشوفات
الربانية * والمعارف اللدنية * المحمدي
المدني الشاذلي النبراسي * سيدنا الشيخ

محمد الفاسي * متعنا الله بحياته * وأفاض

علينا طلعة من بوارق نظراته * ونفعنا به

وبعلومه وبركاته * خصوصا الذي نثر الدر

من فيه * ونقش بقلم الفضل كامل معانيه

* فجاء بحمد الله من جواهر مبانيه * يحق

له أن يكتب بالنور * في صحايف طباق

الشذور * لما جمع فيه بين الهمة والحال *

والبحث عن الوصول ومراتب الرجال *

فلله دره حيث قال :

الحمد لله الذي جعل الطرق الموصلة إليه على عدد أنفاس الخلايق * وفضل الطريقة الشاذلية على ساير الطرق * وزين سماء قلوب أهلها بنيّر الأحدية والمحمدية على الدوام والاستمرار * وجعلهم شموسا منهم يستنار * وأقمارا بهم يستضاء * ونجوما بهم يهتدى * والصلاة والسلام على عين الذات الأحدية * ومظهر أسراره الجبروتية * وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وأئمة الاقتدا * وعترته المطهرين من الردى *

أما بعد ❊ فقد سألني بعض الأحبة في الله ❊ ممن له تعلق بمحبة السادات الشاذلية وطريقهم ❊ قائلا بأي شيء فضلت على ساير الطرق؟ ❊ مع أن الطرق كلها مستمدة من سيدنا رسول الله ﷺ ومقتبسة من مشاكاة نوره ❊ فقلت في الجواب ❊ والله الموفق للصواب ❊ إن الطريقة الشاذلية فضلت على ساير الطرق بمزايا كثيرة ❊ اختصت بها دون غيرها من ساير الطرق ❊ الأولى : أن أهلها مختارون لصاحبها الإمام

أبي الحسن من اللوح المحفوظ ❈ الثانية أن مجذوبهم يرجع إلى الصحو ❈ الثالثة أن القطب لا يكون إلا منهم ❈

قال سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه : «اختصت الطريقة الشاذلية بثلاثة أشياء ❈ لم تكن لأحد قبلهم ولا بعدهم ❈ الأولى أنهم مختارون من اللوح المحفوظ ❈ الثاني : أن مجذوبهم يرجع إلى الصحو ❈ الثالث : أن القطب لا يكون إلا منهم دايما» ❈

وسيأتي الكلام على هذا المعنى إن شاء الله عند ذكر الأقطاب ❋ ولِمَا اختصوا بالقطبانية دون غيرهم ❋ ومن أول الأقطاب من هذه الأمة المحمدية ❋

الرابعة : أنهم مأمونون من السلب ❋

الخامسة : أن المريد إذا أتاهم من أول وهلة يلقنونه الاسم الأعظم ❋ لأنه للتعلق ❋ وهو اسم الذات ❋ ولذلك يقال لهم الذاتيون ❋ وهذا الاسم مخصوص بهم ❋ وإذا أطلق

عند القوم فالمراد بهم أهل الطريقة الشاذلية
* وسـيأتي الكلام على هذا المعنى في
تعريف الذاتيين *

السادسة : أن شيخ التربية لا ينقطع من
طريقهم إلى يوم القيامة كما سيأتي بيانه إن
شاء الله * السابعة : أن الولي لا تكمل
ولايته إلا إذا ختم بطريق الشاذلية كما
سيأتي بيانه إن شاء الله * الثامنة : أن ما
انطوت عليه بواطنهم هو ما كان منطويا

عليه بواطن أصحاب سيدنا النبي ﷺ من التوحيد الخالص الذي ليس فيه تنزيه مطلق ولا تشبيه مقيد ❊ وهو توحيد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ❊

التاسعة : أن المبتدئ إذا دخل طريقهم بصدق طوية وحسن سريرة ❊ من أول وهلة يجتمع بسيدنا النبي ﷺ يقظة ❊ وتدوم معه إلى أن يحصل له الوصول ❊ وهو مقام الفناء ❊ ثم يحصل له مقام البقاء ❊ وهو

مقام الجمع المحمدي ❊ أو هو جمع الفرق ❊
فإذا وصل إلى هذا المقام وتمكن فيه لا
يفارق سيدنا النبي ﷺ ❊

قال الشيخ سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي
الله عنه : «والله لو غاب عني سيدنا رسول
الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من
المسلمين» ❊ وكذا قال تلميذه سيدي أبو
العباس المرسي رضي الله عنه ❊ وقال
تلميذه سيدي ابن عطاء الله مثل ذلك ❊

وقال ذلك تلميذه الشريف سيدي علي وفا
❊ وكذا والده بحر الصفا سيدي محمد وفا ❊
وقال هذا سيدي داود الباخلي ❊ والشيخ
سيدي أحمد زروق المغربي الفاسي ❊
وأستاذ أستاذنا سيدي الشريف مولاي
العربي الدرقاوي ❊ وكذلك تلميذه أستاذنا
القطب الرباني والعارف الصمداني الشيخ
سيدي محمد بن حمزة ظافر المدني قدس
سره العزيز ❊ وهذا خاص بأهل الطريقة
الشاذلية ❊ وإن كان غيرهم من أهل

الطرق لهم الاجتماع به ﷺ لكن لم ينخرق الحجاب بينه وبينهم مثلما انخرق لأهل الطريقة الشاذلية ❊

لأن رؤيته ﷺ تنقسم إلى ستة أقسام ❊ وقد ذكرنا هذه الأقسام الستة وتفاصيلها وما يندرج تحت كل قسم منها من المعارف والأسرار في رسالتنا التي سميناها مراتب الدين ونهاية العارفين ❊ فطالعها تجد فيها ما تستدل به على أن أهل هذه الطريقة في

غاية التمكين والاجتماع بسيد المرسلين ﷺ حسا ومعنى ❋ يقظة ومناما ❋

العاشرة : إذعان العلماء الأعيان وسادات العصر والأوان ❋ كسيدي عز الدين بن عبد السلام ❋ والإمام القسطلاني ❋ وسيدي ابن دقيق العيد ❋ وسيدي عبد العظيم المنذري صاحب الترغيب والترهيب ❋ وسيف المناظرين وحجة المتكلمين سيدي شمس الدين الأصفهاني ❋ والشيخ تقي

الدين السبكي ❊ وسيدي ابن سراقة ❊
والإمام ابن عصفور ❊ لأحقية هذه
الطريقة وكمال صاحبها ❊ فإن هؤلاء كلهم
شهدوا بولايته وخصوصيته وظهوره بالحق
المبين ❊ وأخذوا عنه العهود والأوراد ❊
وكانوا يحضرون معه في مجالس الذكر
والسماع ❊ ويتبركون بدرسه في قراءة
التفسير لابن عطية والشفا للقاضي
عياض في المدرسة الكاملية في المحروسة ❊

وناهيك بهؤلاء العلماء الذين هم سلاطين علماء الوقت شرفا وعزا ❊

وممن مدح هذه الطريقة الشاذلية من الأولياء والعلماء في زمنه ومن بعده ❊ الشيخ صفي الدين ابن أبي منصور الشاذلي في رسالته ❊ والشيخ عبد الله بن النعمان ❊ والشيخ ابن عطاء الله في لطايف المنن ❊ والشيخ سراج الدين ابن الملقن في طباقات الأولياء ❊ والشيخ جلال الدين السيوطي

في حسن المحاضرة ❊ والشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني في طبقاته ❊ والشيخ المناوي في الكواكب الدرية ❊ والإمام السبكي في طبقاته ❊ والقطب الغوث الشريف سيدي عبد السلام الأسمر الطرابلسي في وصيته الكبرى ❊ فقال :

«إخواني ❊ يعني بهم أهل الطريقة العروسية ❊ من تعرس ولم يتشذل فأحواله تتبدل» ❊

وممن مدحه نظما ونثرا الإمام البوصيري في قصيدته الدالية ❊ فقال :

كتب المشيب بأبيض في أسود ❇

إلى أن قال :

إن الإمام الشاذلي طريقُه

في الفضل واضحة لعين المهتدي

فانقل ولو قدما على آثاره

فإذا فعلت فذاك أخذٌ باليد

إلى آخر قصيدته ❇

وقال الشيخ إبراهيم بن محمد ناصر الدين ابن الميلق :

ولو قيل لي من في الرجال مكمل

لقلت إمامي الشاذليُّ أبو الحسن

لقد كان بحرا في الشرايع راسخا

ولا سيما علم الفرايض والسنن

ومن منهل التوحيد قد عبّ وارتوى

فلله كم روّى قلوبا بها محن

وحاز علوما ليس تحصى لكاتب

وهل تحصر الكتّاب ما حاز من فنن

فكن شاذلي الوقت تحظى بسره

وفي ساير الأوقات مستغنيا يعن

فإني له عبد وعبد لعبده

فيا حبذا عبد لعبد أبي الحسن

إذا لم أكن عبدا لشيخي وقدوتي

إمامي وذخري الشاذلي أكن لمن

فيا رب بالسر الذي قد وهبته

تمنّ علينا بالمواهب والفطن

وما أحسن قول العارف بالله تعالى سيدي علي بن عمر القرشي تلميذ ابن المليق :

أنا الشاذلي ما حييت وإن أمت

فمشورتي في الناس أن يتشذلوا

وقال بعضهم :

تمسك بحب الشـاذلي ولا تـرد

سواه من الأشياخ إن كنت ذا لبّ

فأصحابه كالشمس زاد ضياؤها

على النجم والبدر المنير من الجبّ

وقال آخر :

تمسك بحب الشاذلي فإنه
له طرق التسليك في السر والجهر
أبوالحسن السامي على أهل عصره
كراماته جلت عن الحد والحصر

الحادية عشرة : أن الأقطاب السبعة * والإمامان الذان عن يمين القطب وعن يساره *والأبدال * والأنجاب * والأوتاد والنقباء * والرجال * والجرس الخارج عن نظر القطب * وجميع أهل الديوان * كلهم

شاذلية ❊ ولا يدخل أحد من أهل الدايرة ❊ والعدد للديوان إلا إذا تشذل ❊ وإن بلغ الولاية في طريق غيرها ❊ فإذا دخل إلى الديوان أخذ الطريقة الشاذلية عن الغوث ❊ لأن الطريقة الشاذلية أمان للولي من السلب ❊ وأمان له من سوء الخاتمة ❊

الثانية عشرة : أن المريد إذا دخل الطريقة الشاذلية ❊ وكان ليس له قصد إلا الله تعالى وقطع العلايق والعوايق ولم يلتفت

لشيء سوى الله تعالى ❊ حصل له الفتوح

في أقرب وقت وأسرع مدة ❊ لأن

طريقهم طريق الاجتبا ❊ قال الله تعالى :

﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من

ينيب﴾ وإن كانت بدايتها إنابة ونهايتها

اجتبا ❊

الثالثة عشرة : إن طريق الشاذلية طريق

التربية بالهمة والحال والمقال ❊ فبالهمة

يخفضون مريدهم تارة ويرفعونه أخرى ❊

وبالحال يربونه حتى يسير إلى الله على
أحسن الحالات وأكمل الهيئات بحيث
يسير إلى الله بطبعه ❊ فتجذب إلى الشيخ
قلوب المريدين انجذاب الحديد إلى الحجر
المغناطيس ❊ كما سيأتي بيانه عند ذكر من
كان ذاتيا كيف تنجذب له القلوب ❊
وبالمقال يسيرون من تبعهم واقتفى أثرهم ❊
وكان متعطشا متلهفا لما عندهم من العلوم
اللدنية والمعارف الربانية والأسرار الغيبية
والمسامرات العرشية ❊ وهذه حقيقة من

كان كاملا في الحكمة * قال الله تعالى :

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ *

وقال سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه :

«أنوار الحكماء سبقت أقوالهم * لأن

الكلام إذا كان بغير نور لم يحصل له تأثير

في القلب» * وقال أيضا : «كل كلام يبرز

عليه كسوة القلب الذي منه برز» * وبهذه

النور يربون المريدين *

وأن تربيتهم بالنظر ❊ قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : «والله ما بيني وبين الرجل إلا وأنظر إليه نظرة وقد أغنيته» ❊ وقال أيضا رضي الله عنه : «لا خير فيمن لا يربي أولاده بالنظر ❊ كالسلحفاة تربي أولادها بالنظر» ❊ وقال في مدح تليمذه سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه : «نعم الرجل الكامل أبو العباس ❊ يأتيه البدوي يبول على ساقيه ❊ فلا يمسي عليه الليل إلا وقد وصله إلى الله»

❊ وقد جعل الله هذه الخاصية في نوع من الأفاعي يسمى الصلّ فإذا نظر إلى الإنسان ونظر إليه الإنسان واجتمعت النظرتان في آن واحد مات الإنسان من حينه ❊

وقال سيدي عبد الله المرجاني : «واعلم أن الطريقة الشاذلية إنما هي بالهمة والملاحظة» ❊ وقال الشيخ مكين الدين الأسمر : «الناس يدخلون على باب الله

وسيدي أبو الحسن الشاذلي يدخلهم على الله» ❊

الرابعة عشرة : أن أهلها جامعون بين الحقيقة والشريعة ❊ ظواهرهم معمورة باتباع المأمورات واجتناب المنهيات ❊ وبواطنهم مستنيرة بمشاهدة أنوار الذات ❊ لا يشهدون في الدارين غير الله ❊ لا تحجبهم أنوار الحقيقة عن متابعة الشريعة ❊ ولا الشريعة عن الحقيقة ❊ ولا الفرق عن

الجمع * ولا الجمع عن الفرق * ولا الفناء
عن البقاء * ولا البقاء عن الفناء * يعطون
كل ذي حق حقه * ويوفون كل ذي
قسط قسطه * وهذه حالة الرجال الكمل
من العارفين نفعنا الله بهم آمين *

الخامسة عشرة : أن علومهم مؤيدة بالكتاب
والسنة * كان سيدي أبو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه يقول : «إذا ورد علي وارد
من جهة الحقيقة فلا أقبله إلا بشاهدين

عدلين وهما الكتاب والسنة» ❋ ولذلك لم
يعترض أحد من أهل العلم على أحد من
أهل هذه الطريقة مع انتشار تأليفهم وكثرة
أقوالهم ❋ ووقع الاعتراض على غيرهم ❋
بل بعض الأولياء كفروهم ❋ وبعضهم
فسقوهم ❋ وبعضهم زندقوهم ❋ وبعضهم
قتلوهم كالحلاج ❋ وأما رجال أهل هذه
الطريقة فإنهم رضي الله عنهم من أهل
الثبات والصحو في اتباع الشريعة ❋ كتموا
أسرار الحقيقة ولم يتفوهوا بإظهار شيء منها

❊ وهذا كله من الكمال ❊ والصحو والرسوخ في مقام الفرق بعد الجمع ❊ والصحو بعد المحو ❊ والبقاء بعد الفناء ❊

السادسة عشرة : أن الشيخ سيدي أبا الحسن رضي الله عنه كان هيكلا ذاتيا ولطيفة ربانية ❊ لأن الأولياء رضي الله عنهم منهم من تكون لطيفة ذاتية كسيدنا أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ❊ وذلك أن الحق سبحانه وتعالى إذا تجلى على عبده

وأفناه عن نفسه أقام فيه لطيفته ❊ فتلك
اللطيفة قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية
❊ فإذا كانت ذاتية كان ذلك الهيكل
الإنساني هو الفرد الكامل والغوث الجامع
❊ عليه يدور أمر الوجود ❊ وهو الذي أقامه
الله بالتصرف على كل موجود ❊ وبه يحفظ
العالم ❊ فحينئذ ينجذب حقايق الموجودات
إلى امتثال أمره انجذاب الحديد إلى الحجر
المغناطيس ❊ ويقهر الكون بعظمته ❊
ويفعل ما يشاء بقدرته ❊ فلا يحجب عنه

شيء ❊ وذلك أنه لما كانت اللطيفة الإلهية
❊ في هذا الولي ذاتا ❊ ساذجا غير مقيدة ❊
لا حقيقة إلهية ❊ ولا خلقية عبدية ❊
أعطى كل رتبة من رتبة الموجودات
الإلهية والخلقية حقها ❊ إذ ما ثم شيء
يمسكه عن أن يعطي الحقايق حقها ❊
والماسك للذات إنما هو تقييدها برتبة أو اسم
أو نعت ❊ حقيقة كانت أو خلقية ❊ وقد
ارتفع الماسك عنه لأنه ذات ساذج ❊
ومن كان ذاتا ساذجا كل الأشياء عنده

بالفعل ❊ لا بالقوة لعدم المانع ❊ وإنما تكون الأشياء في الذات بالقوة تارة ❊ وبالفعل أخرى لأجل المانع ❊ فارتفاعها إما بوارد على الذات ❊ أو صادر عنهما ❊ ولذلك لما سئل رضي الله عنه من أستاذك الذي كنت تستمد منه؟ ❊ فقال : «أما فيما مضى كنت أغترف وأستمد من بحر واحد ❊ وهو سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ❊ وأما الآن أستمد وأغترف من عشرة أبحر ❊ خمسة من

الآدميين وخمسة من الروحانيين ❊ أما
الآدميون فسيدنا النبي ﷺ ❊ وسيدنا أبو بكر
❊ وسيدنا عمر وسيدنا عثمان ❊ وسيدنا علي
❊ وأما الروحانيون فسيدنا جبريل ❊ وسيدنا
ميكائيل ❊ وسيدنا إسرافيل ❊ وسيدنا
عزرائيل ❊ والروح» ❊ وهذه وصفة من
كانت حقيقة إنسانية لطيفة ذاتية ❊ وهيكله
مرآت ربانية صمدية ❊ وبهذا يتبين لك ما
أشرنا إليه أنهم ذاتيون ❊ ولا يسمون بهذا
الاسم غيرهم ❊ ولا يلحق بأهل هذه المرتبة

أهل الشطحات ❊ وأرباب الأحوال

المجاذيب ❊ وإن ظهر منهم خرق العوايد

وكثر منهم ❊ فإنهم من عامة الأولياء ❊ لا

من خواصهم ❊ وبسبب ظهور الخوارق على

أيديهم الحقوا بهم في النسبة ❊ لا في اتحاد

الوجوه ❊ لأن الأولياء رضي الله عنهم منهم

ذاتيون ❊ وقد عرفت فيما سبق أمر

الذاتيين ❊

ومرادنا باتحاد الوجوه * أن من الأولياء
من يسكر من رؤية الكأس * ومنهم من
يطفح من رشفة * ومنهم من يعربد من
رشفتين * ومنهم من يكون الكون له من
العرش إلى الفرش كأس لا يرويه * وفرق
كبير بين من يكون الكون له كأس يشرب
فيه وقدح لا يرويه * وبين من يسكر من
رؤية الكأس * وبين من يعربد من رشفة
* فأهل الولاية العامة هم الذين سكروا من
رؤية الكأس * وتبعتهم الطائفة الثانية *

الذين رشفوا رشفة أو رشفتين ❊ وأما الكمل من أولياء الله تعالى فإنهم فتح الله لهم باب الفهم عنه والعلم به والأخذ منه ❊ فمكنوا من خزائن العلوم ❊ وكشف لهم عن حقيقة كل ناطق وموهوم ❊ فصاروا يأخذون عن الله ❊ ويفهمون عن الله بالله❊

كان الشيخ سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول إذا استغرق في الكلام

: «ألا رجل من الأخيار يعقل عنا هذه الأسرار ❊ هلموا إلى رجل صيره الله بحر الأنوار» ❊ وكان يقول : «أخذت ميراثي من سيدنا رسول الله ﷺ ❊ فمكنت من خزائن الأسماء ❊ فلو أن الجن والإنس يكتبون عني ❊ إلى يوم القيامة ❊ لكلوا وملوا» ❊

وقال رضي الله عنه في الطهارة ❊ حاكيا عن أستاذه رضي الله عنه : «الزم الطهارة

من الشرك ❊ كلما أحدثت تطهرت ❊ لا

تشرك بالله شيئا ❊ ومن دنس حب الدنيا

❊ كلما ملت إلى شهوة ❊ أصلحت التوبة ما

أفسدت بالهوى أو كدرت ❊ وعليك بمحبة

الله على التوقير والنزاهة ❊ وأدمن الشرب

بكأسها مع السكر والصحو ❊ كلما أفقت أو

تيقظت شربت ❊ حتى يكون سكرك

وصحوك به ❊ وحتى تغيب بجماله عن المحبة

وعن الشراب ❊ والشرب والكاس بما يبدو

لك من نور جماله ❊ وقدس كمال جلاله ❊

ولعلي أحدث من لا يعرف المحبة ❊ ولا
الشرب ❊ ولا الشراب ❊ ولا الكأس ❊ ولا
السكر ❊ ولا الصحو» ❊ قال له القايل :
«أجل ❊ وكم من غريق في الصحو لا
يعرف بغرقه فتعرفني وتنبهني عما أجهل ❊
أو لما منّ به علي وأنا عنه غافل» ❊ قلت :
«لك نعم المحبة ❊ أخذت من الله قلب من
أحب بما يكشف له من نور جماله
وقدس كمال جلاله ❊

وشرب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف
❊ والأخلاق بالأخلاق ❊ والأفعال
بالأفعال ❊ والأنوار بالأنوار ❊ والأسماء
بالأسماء ❊ والنعوت بالنعوت ❊ ويتسع فيه
النظر لمن شاء الله عز وجل ❊

والشرب سقي القلب والأوصال والعروق
من هذا الشراب ❊ بالتدريب بعد التأديب
والتهذيب ❊ فسقي كل واحد على قدره ❊
فمنهم من يسقى من غير واسطة ❊ والله

سبحانه وتعالى يتولى ذلك منه له ❊ ومنهم

من يسقى من جهة الوسائط بالوسايط ❊

كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين ❊

فمنهم من يسكر بشهود الكأس ❊ ولم يذق

بعد ذلك شيئا ❊ فما ظنك بعد بالذوق ❊

وبعد بالشرب ❊ وبعد بالري ❊ وبعد بالسكر

❊ وبعد بالمشروب ❊

ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى ❊ كما

أن السكر أيضا كذلك ❊ والكأس مغرفة

الحق يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافي لمن يشاء من عباده المخصوصين من خلقه ❇ فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة ❇ وتارة يشهدها معنوية ❇ وتارة يشهدها علمية ❇ فالصورة حظ الأبدان والأنفس ❇ والمعنوية حظ القلوب والعقول ❇ والعلمية حظ الأرواح والأسرار ❇ فيا له من شراب ما أعذبه ❇ فطوبى لمن شرب منه ❇ ودام ولم يقطع عنه ❇ فنسأل الله من

فضله ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ ❊

وقد يجمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحد ❊ أو قد يسقون من كؤوس كثيرة ❊ أو قد يسقى الواحد بكأس وبكؤوس ❊ أو قد يختلف الشرب من كاس وإن شرب منه الجم الغفير من الأحبة» ❊

وسئل رضي الله عنه * عن المحبة فقال :

«المحبة أخذة من الله لقلب عبده عن كل

شيء سواه * فترى النفس مايلة لطاعته *

والعقل متحصنا بمعرفته * والروح مأخوذة

في حضرته * والسر مغمور في مشاهدته *

والعبد يستزيد فيزاد * ويفاتح بما هو أعذب

من لذيذ مناجاته * فيكسى حلل التقريب

على بساط القربة * ويمس أبكار الحقايق

وثيبات العلوم * فمن أجل ذلك قالوا :

أولياء الله عرائسٌ ولا يرى العرايسَ المجرمون ❊

قال له القايل : «قد علمت الحب ❊ فما شراب الحب وكاس الحب؟ ❊ وما الساقي؟ ❊ وما الذوق؟ ❊ وما الشراب؟ ❊ وما الري؟ ❊ وما السكر؟ ❊ وما الصحو؟» ❊

قال له : «أجل ❊ الشراب النور الساطع عن جمال المحبوب ❊ والكأس هو اللطف

الموصل ذلك إلى أفواه القلوب ❊ والساقي
هو المتولي للمخصوص الأكبر والصالحين ❊
وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه ❊
فمن كشف له عن ذلك الجمال فحظي بشيء
منه نفسا أو نفسين ❊ثم أرخي عليه
الحجاب فهو الذايق المشتاق ❊ ومن دام له
ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا ❊
ومن توالى عليه الأمر ودام له الشرب حتى
امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله
تعالى فذلك هو الريّ ❊ وربما غاب عن

المحسوس والمعقول فلا يدري ما يقول ولا
ما يقال ❊ فذلك هو السكر ❊ وقد تدور
عليهم الكأسات وتختلف لديهم الحالات
ويردون إلى الذكر والطاعات ولا يحجبون
عن الصفات مع تزاحم المقدورات ❊
فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد
علمهم ❊ فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد
يهتدون في ليلهم ❊ وشموس المعارف
يستضيؤون في نهارهم ❊ ﴿أولئك حزب الله
ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ ❊

السابعة عشرة : أن الإمام المهدي الذي يكون في آخر الزمان ❊ رتبته في الولاية كرتبة سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما ❊ لأنه خليفة الله ❊ وهيكل ذاته لطيفة إلـهية وذات صمدانية لتوحد المقام فيهما ❊ فإذا نظرت إلى سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فكأنك نظرت إلى الإمام المهدي عليه السلام لتوحد المقام فيهما ❊ غير أن المهدي عليه السلام جمع الله له بين الدعوة إلى الله بالسيف بإقامة

الحجة وظهور المحجة ❋ وهذه مرتبة العصمة التي لا يتصف بها إلا نبي أو خليفة الله تعالى ❋

قيل لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه : «يا خليفة الله» ❋ فقال : «لست بخليفة الله ❋ وإنما أنا خليفة سيدنا محمد ﷺ» ❋ وخليفة الله هو المهدي عليه السلام الذي يكون خاتما لهذه الذرية المحمدية ❋ ولذلك لم يأت إلا من بيت النبوة ❋ وهو الوارث

لعلوم جده سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ❊ كما كان جده وارثا لعلوم خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ ❊ فلذلك أثرت في بنيه ختم الولاية كما أثرت فيه ﷺ ختم النبوة ❊ وأما سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ❊ فخلافته معنوية كجده سيدنا الحسن رضي الله عنه ❊ وسيأتي الكلام على هذا في محله من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى ❊

الثامنة عشرة : أنه لم يثبت أن أحدا من مشايخ الشاذلية قد انجذب له أحد من المريدين حتى غاب عن إحساسه وفني عن عالم جنسه حتى هتك أسرار الحقيقة وتفوه بما نهت عن إظهاره الشريعة ❊ ولا يصدر عنه هذه إلا من ضعف المشاهدة ❊ إما من الشيخ حيث أمده بما لا تطيقه ذاته من الأنوار ❊ التي لا طاقة له عليها لعدم تمكنه ❊ إما لضعف المريد لعدم استعداد قابليته أنوار الشيخ وسريان حقيقتها في ذاته

لضعف مجاهدته ❊ أو لوقوفه مع شهواته

لضعف الروح من بقايا النفس ❊ والتعلق

بالجنس لعدم صفائها وانطباع الأشياء فيها

على ما هي عليه في نفس الأمر ❊ فلم

يتقّوى على حمل ما أودعته من الأنوار ❊

ولأن هذه الطائفة ربانيون محمديون ❊ حتى

أنه إذا فتح على أحدهم وحصل له مقام

الفنا والبقا ❊ وكان وارثا لسيدنا النبي ﷺ

الذي هو على قدمه ❊ يكون ذلك النبي هو

واسطة إمداده من سيدنا النبي ﷺ ❊ فإذن صار يستمد من سيدنا النبي ﷺ بغير واسطة ❊ فحينئذ يلحق بالمحمديين من أهل هذه الطائفة ❊ نفعنا الله بهم آمين ❊

وأما ما يسمع على لسان هذه الطائفة ❊ من ذكرهم لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في حالة جذبهم واصطلامهم ❊ فذلك لضعف أنوارهم وغلبة سلطان الحال عليهم ❊ لتلونهم وعدم تمكنهم ❊ لأن الولي

كلما ازداد شربا ازداد صحوا ❊ وكلما ازداد صحوا ازداد سكرا ❊ وكلما ترادفت عليه الكؤوس فاضت عليه أنوار من حضرة القدوس ❊ كما ذكرنا لك آنفا من كلام سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه في معنى السكر والصحو والشرب والكأس ❊ فاعتبره فإنه نافع لك في هذا الباب فراجعه ❊

وقد وقع لأخ من إخواننا في الله ❊ أنه لما
أراد الله أن يجتبيه ❊ كثرت رؤيته لسيدنا
النبي ﷺ يقظة ❊ في حال سيره ومجاهدته
من بدايته إلى نهاية سيره ❊ وهو مقام
الاستشراق ❊ فاجتمع بسيدنا موسى ❊
وسيدنا إبراهيم عليهما السلام ❊ وقبل يد
كل واحد منهما ودعوا له ❊ فرأى بعد
ذلك أمورا لا يجوز إفشاؤها لغير أهلها ❊ ثم
حصل له بعد ذلك مقام الفناء ❊ وهو الجمع
الصرف ❊ فدام سكره واضمحلت أوصافه

وتلاشت أسماؤه حتى غاب عن إحساسه ❊
وفني عن فنائه ❊ فأدركته العناية الربانية ❊
وجذبته يد القدرة الإلـهية ❊ فردته إلى عالم
حسه ❊ ورجوعه إلى ربه بربه ❊ وهو مقام
الجمع المحمدي ❊ وهو مقام البقاء بعد الفناء
❊ والفرق بعد الجمع ❊ والصحو بعد السكر ❊
ولم يتفوه بكشف شيء من أسرار الحيققة
التي ظهرت عليه ❊ وما ذكرت أحوال هذا
الفقير إلا أنه كان على قدم هذين النبيين
الذين اجتمع بهما في حال تجلي الحقيقة

عليه ❊ وهذا قليل في هذه الطائفة الشاذلية لأنهم محمديون كمل من بدايتهم إلى نهايتهم ❊ وسأبين في هذا المعنى ما قاله سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في معنى قول بعضهم : «كل ولي على قدم نبي إلى يوم القيامة» ❊

وقال رضي الله عنه : «اعلم أن العلوم التي وقع الثناء على أربابها ❊ وإن جلت فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق ❊ وهم الذين

غرقوا في تيار بحر الذات ❊ وغموض الصفات ❊ فكانوا هناك بلا همّ ❊ وهم الخاصة العليا الذين شاركوا الأنبياء والرسل في مراتبهم ❊ وإن جلت مراتب الأنبياء والرسل فلهم منها نصيب ❊ إذ ما من نبي ولا رسول إلا وله من هذه الأمة وارث ❊ وكل وارث على قدر إرثه من موروثه ❊ قال سيدنا النبي ﷺ : «العلماء ورثة الأنبياء» ❊ ولا يكون وارث إلا وله نصيب معلوم من مورثه حتى يقوم مقامه

على سبيل إرث العلم والحكمة ❊ لا على
سبيل التحقق بالمقام والحال ❊ إن مقامات
الأنبياء قد جلت أن يلمح حقايقها غيرهم ❊
وكل وارث في المنزلة بقدر مورثه ❊ إذ
يقول الله جل وعلا : ﴿ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض﴾ ❊ فكما فضل بعضهم
على بعض كذلك فضل بعض الأولياء على
بعض ❊ إذ الأنبياء بعين الحق وكل عين
مستمد منها على قدرها ❊ وكل ولي له مادة
مخصوصة ❊

فانقسم الأولياء على ضربين * ضرب منهم أبدال الأنبياء * وضرب منهم أبدال الرسل * فأبدال الأنبياء الصالحون * وأبدال الرسل الصديقون * فبين الصالحين والصديقين في التفضيل كما بين الأنبياء والمرسلين * فمنهم ومنهم * غير أن الطائفة انفردوا بالمادة من سيدنا رسول الله ﷺ يشهدونها عين اليقين * لكنهم قليلون وهم في التحقيق كثيرون *

وكل نبي وولي مادته من سيدنا رسول الله ﷺ ❊ فمن الأولياء من يشهد عينه ❊ ومنهم من يخفى عليه عينه ومادته ❊ فيفنى بما يرد عليه ولا يشتغل بطلب مادته ❊ بل هو مستغرق بحاله ❊ لا يرى غير وقته ❊

ومنهم الذين مدوا بالنور الإلـهي فنظروا به ❊ حتى عرفوا من هم على التحقيق ❊ وذلك كرامة لـهم لا ينكرها إلا من أنكر كـرامات الأولياء ❊ فنعوذ بالله من

النكران بعد العرفان ❊ وهم الذين أخذوا
طريقا لم يأخذه غيرهم ❊ إن الطريق
طريقان ❊ طريق خاصة وطريق عامة ❊
فأعني بالخاصة المحبوبين أبدال الرسل ❊
وأعني بالعامة المحبين الذين هم أبدال
الأنبياء ❊ فعلى الجميع السلام ❊